جامعة حمد بن خليفة

كلية الدراسات الإسلامية

التجربة الدينية والتجربة الصوفية:

دراسة مقارنة في ضوء علم تاريخ الأديان

إعداد

عمرو محمد محمد البقلي

رسالة ماجستير مقدمة لأعضاء هيئة تدريس

كلية الدراسات الإسلامية

استيفاءً لأحد

شروط الحصول

على درجة الماجستير في مقارنة الأديان

يونيو 2019م

© 2019 عمرو محمد محمد البقلي. "جميع الحقوق محفوظة

PREVIEW

ProQuest Number: 13861995

All rights reserved

INFORMATION TO ALL USERS
The quality of this reproduction is dependent upon the quality of the copy submitted.

In the unlikely event that the author did not send a complete manuscript and there are missing pages, these will be noted. Also, if material had to be removed, a note will indicate the deletion.

ProQuest 13861995

Published by ProQuest LLC (2019). Copyright of the Dissertation is held by the Author.

All rights reserved.
This work is protected against unauthorized copying under Title 17, United States Code
Microform Edition © ProQuest LLC.

ProQuest LLC.
789 East Eisenhower Parkway
P.O. Box 1346
Ann Arbor, MI 48106 – 1346

PREVIEW

اللجنة

يصادق أعضاء لجنة التقييم بالموافقة على (رسالة الماجستير) التي قدمها (عمرو محمد محمد البقلي) والتي نوقشت بتاريخ

[13- إبريل – 2019 م]

[أ. د. إبراهيم محمد زين**]**

مشرف رسالة الماجستير

[د.بدران بن لحسن**]**

عضو اللجنة

[أ. د. محمد أمزيان **]**

عضو اللجنة

يُعتمد:

[*أ. د. عماد الدين شاهين***]** *العميد، كلية* **[** *الدراسات الإسلامية* **]**

PREVIEW

ملخص

إن هذه النزعة الروحية التي خلقها الله ـ تعالى ـ في بني البشر ضرورة نفسية ملحة ومطلب ديني، ونزعة فلسفية في الإنسان، ويتطرق البحث إلى جذور ومنابع هذه الحياة الروحية في التاريخ الإنساني بصفة عامة وفي التاريخ الإسلامي بصفة خاصة، ليقودنا للتأمل في التجربة الدينية في جزيرة العرب قبل الإسلام ثم بالحياة الروحية لنبي الإسلام محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبل البعثة وبعدها، وملاحظة تطور هذه النزعة الروحية في التاريخ الإسلامي، وتسليط الضوء على أصولها وجذورها، ليقود الباحث بالضرورة إلى فهم التجربة الصوفية التي هي أحد نتاجات الغلو في تلك النزعة الروحية.

تعد التجربة الصوفية أحد نتاجات التجربة الدينية التي عاشها الكثير من الناس قديمًا وحديثًا في مختلف الحضارات والأديان، وقد حاول الباحث تسليط الضوء عليها من خلال مقارنتها بالتجربة الدينية في الأديان بصفة عامة وفي الإسلام بصفة خاصة لإبراز أهم النقاط التي تتقاطع وتتداخل مع الأديان الأخرى.

وقد سلّط الباحث الضوء على النظرية الإسلامية للتجربة الدينية التي صاغها مؤرخ الأديان د: محمد خليفه حسن ـ حفظه الله ـ ولا قت قبولًا واستحسانًا لدى علماء وباحثي مقارنة الأديان وجعلها الإطار العام الذي سينطلق منه في محاولة فهم التجربة الدينية في الإسلام أولًا ومن ثم إجراء مقارنة ومقاربة بينها وبين التجربة الصوفية، وذلك في ضوء علم تاريخ الأديان.

PREVIEW

Abstract

This spiritual tendency which Allah created in human beings is an urgent psychological necessity, a religious requirement, a philosophical orientation in man. The research is about the roots and origins of this spiritual life in the human history in general and in the Islamic history in particular. This leads us to reflect on the religious experience in the Arabian Peninsula before Islam, and then on the spiritual life of Prophet Muhammad (PBUH) before and after his mission. The next step is to reflect on the evolution of this spiritual trend in the Islamic history, and to shed light on its origins and roots. All this requires necessarily the researcher to understand the Sufi experience which is a product of the excessive spirituality.

The Sufi experience is a product of the religious experience of many people in ancient and modern civilizations and religions. The researcher has tried to shed light on this by comparing it to the religious experience in general and in Islam in particular to highlight the most important points that intersect and overlap with other religions.

The researcher has highlighted the Islamic theory of the religious experience which was formulated by the religious historian, Dr. Muhammad Khalifa Hassan. It has been well received and accepted by the scholars and researchers of comparative religions and made it the general framework from which to begin to understand the religious experience in Islam first and then to compare it with the Sufi experience, in the light of the religious history.

PREVIEW

جدول المحتويات

جدول المحتويات ..... ج
شكر وتقدير ..... د
الإهداء ..... ذ
مقدمة 1
التعريف بالموضوع وأهميته 2
سبب اختيار الموضوع 4
أهداف البحث 5
أهمية البحث 5
حدود البحث 6
إشكالية البحث 6
تساؤلات البحث 6
منهجية البحث 7
الدراسات السابقة 7
خطة البحث 9
الفصل الأول 10
جذور الحياة الروحيّة في التاريخ. 10
تقديم 11
المبحث الأول: منابع الحياة الروحيّة. 11
أولًا: المنبع الفلسفي: 11
ثانيًا منبع الطبيعة الإنسانية: 14
ثالثًا المنبع الديني: 16
المبحث الثاني: جذور الحياة الروحيّة في التاريخ. 21
المبحث الثالث: جذور الحياة الروحيّة في جزيرة العرب قبل الإسلام: 25
أولًا اليهودية: 27
ثانيًا النصرانية: 28
ثالثًا: الحُمْس والحلة وأثرهما في الحياة الروحية للعرب قبل الإسلام: 30
رابعًا الحنفاء: 31
الفصل الثاني 44
التجربة الدينية في أول مهدها الإسلامي. 44
الحياة الروحية في حياة محمد صلى الله عليه وسلم: 45
أولًا ـ الحياة الروحية في حياة النبي محمد صلى الله عليه وسلم قبل البعثة: 45
ثانيًا ـ الحياة الروحية في حياة نبي الإسلام محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد البعثة. 50
ثالثًا ـ الحياة الروحية (الزهد) في القرنين الأول والثاني. 53
رابعًا ـ نشأة التصوف. 55

PREVIEW

خامسًا: معنى التصوف واشتقاقاته..... 56
تعريف الباحث للتصوف والزهد: 66
أسماء المتصوفة: 68
الفصل الثالث..... 69
التجربة الدينية والتجربة الصوفية. 69
المبحث الأول: التجربة الصوفية: 70
مفهوم التجربة الصوفية: 71
العلاقة بين التجربة الصوفية والدين: 73
العبادات الظاهرة ودورها في التجربة الدينية والتجربة الصوفية:..... 75
الخصائص المشتركة للتجربة الصوفية:..... 77
دفاع الصوفية عن التجربة الصوفية وردهم على من أنكرها:..... 78
التجربة الصوفية ليست متاحةً إلا للخواص من الناس. 78
آراء الباحثين حول أنواع التجربة الصوفية:..... 79
المبحث الثاني: التجربة الدينية: 81
مفهوم التجربة الدينية: 81
تعريف التجربة الدينية:..... 83
تعريف الباحث للتجربة الدينية: 84
أنواع وظواهر التجربة الدينية عند مصطفى ملكيان: 84
موانع التجربة الدينية: 85
أنواع التجربة الدينية:..... 85
الفصل الرابع..... 90
مقاربات بين التجربة الدينية عند د. محمد خليفه حسن والتجربة الصوفية:..... 90
المبحث الأول: الرؤية الاستشراقية للتصوف للدكتور: محمد خليفه حسن. 91
قصور الدراسات الغربية في دراسة الإسلام وفهم تجربته الدينية: 93
المبحث الثاني: التأسيس للنظرية من خلال الحديث عن جوهر الدين الإسلامي: 94
التسمية ب (الإسلام) وصلتها بجوهر الدين: 95
رأي الدكتور خليفة في صعوبة دراسة التجربة الدينية في جانبها الشعوري:..... 96
المبحث الثالث: مراحل التجربة الدينية في الإسلام عند د. خليفة: 97
أ – المرحلة الأولى من مراحل التجربة الدينية في الإسلام:..... 98
ب - المرحلة الثانية من مراحل التجربة الدينية في الإسلام: 98
جـ - المرحلة الثالثة من مراحل التجربة الدينية في الإسلام: 99
المبحث الرابع: خصائص التجربة الدينية في الإسلام: 101
1 - تجربة عقلانية:..... 101
2 - تجربة اجتماعية:..... 102
3 - تجربة دينية دنيوية وأخروية:..... 104
4 - تجربة أخلاقية:..... 105

PREVIEW

إضافات الباحث لخصائص التجربة الدينية في الإسلام: 106
ملخص وصف التجربة الدينية: 110
المبحث الخامس: الفرق بين التجربة الدينية والتجربة الصوفية. 111
الخاتمة 119
المراجع 121
المقالات 129

PREVIEW

شكر وتقدير

- الحمد لله وحده والشكر له ـ سبحانه ـ على أن وفق وأعان، فمنه كل خير ومعروف، وهو صاحب الفضل والإنعام في الأولى والآخرة، فاللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.
- لأساتذتي الأكارم الذين شرفت بالتتلمذ على أيديهم في قسم مقارنة الأديان بكلية الدراسات الإسلامية وعلى رأسهم مؤرخ الأديان سعادة الأستاذ الدكتور: محمد خليفه حسن ـ صاحب الخلق الرفيع والتواضع الجم.
- والشكر موصول لسعادة الأستاذ الدكتور: إبراهيم زين الذي أشرف على البحث ووجهني بملاحظاته الثمينة ليظهر البحث على هذا النحو، فجزاه الله خير الجزاء.
- وشكر خاص من أعماق القلب لسماحة الأستاذ الدكتور: بدران مسعود بن لحسن والذي كان الداعم الأكبر لي في الكلية ماديًا ومعنويًا، كتب الله أجره، ووفقه لرضاه.
- والشكر موصول لجميع الأساتذة الأفاضل الذين تعلمت منهم في هذه الكلية المباركة وهم الأستاذ الدكتور: أحمد محمد هويدي والأستاذ الدكتور: محمد السعيد جمال الدين والدكتور الفاضل: سمير قدّوري والأستاذ الدكتور: دين محمد والدكتور: محمد المختار الشنقيطي والدكتور: محمد مدثر علي جزاهم الله جميعًا خير الجزاء وأحسن عاقبتهم في الأمور كلها.
- والشكر الجزيل لصاحب الخلق الرفيع والتواضع الجم سماحة الشيخ: عبد الرحمن بن خالد آل ثاني ـ حفظه الله ـ والذي كان لدعمه الأثر الكبير في نجاح هذا البحث، جزاه الله خير الجزاء ورزقه من خيري الدنيا والآخرة.
- والشكر لجميع زملائي الأفاضل الذين تعلمت منهم الكثير ولم يبخل واحد منهم بدعم أو توجيه أو دعوة صالحة وأخص منهم الأخ الفاضل الأستاذ: ناجي محمد مصطفى الشابوري، والذي كان سببًا في الالتحاق بهذه الكلية المباركة وقد استفدت منه كثيرًا فأسأل الله ـ تعالى ـ أن يكتب أجره وأن يوفقه لمراضيه وأن يجزيه خير الجزاء.

PREVIEW

الإهداء

- ❖ إلى روح أبي الغالي ـ رحمه الله ـ الذي كان سببًا في كل خيرٍ، فقد أصر على إلحاق جميع أولاده بالأزهر ـ أدام الله نفعه ـ رغبةً في أن يكونوا صالحين وبعلوم الشرع الشريف مشتغلين، وكان دومًا يقول لقد وهبت أولادي للأزهر، لقد غرس أبي ـ رحمه الله ـ في نفسي معاني الرجولة والاعتماد على النفس، وكان دائمًا ما يوصيني بالإخلاص، أسأل الله ـ تعالى ـ أن يرفع درجته في المهديين وأن يجمعنا به في جنات النعيم برفقة نبينا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ خاتم الأنبياء والمرسلين.
- ❖ إلى أمي ـ أطال الله عمرها في الطاعة ـ زهرة عمري ونبع الحنان والحب في حياتي، إلى من صبرت وسهرت وتحملت أنواع المشاق والآلام في رحلة تربيتي وتعليمي، إلى من ستر الله عيوبي وجبر كسري ببركة صلاحها ودعائها الذي لا ينقطع ليلًا ونهارًا.
- ❖ إلى زوجتي وصاحبتي وموضع الأمل والإشراق في حياتي ـ أم مسلم ـ إلى من صبرت وتحملت رحلة طويلة شاقة في تربية أولادي، إلى رفيقة الدرب وبهجة الحياة.
- ❖ إلى أولادي، ريحانة حياتي وقرة عيني، ناصر السنة (أحمد) وأسد الإسلام (محمد) وإبراهيم والحبيبتان رحمة ومريم أقر الله أعيننا بصلاحهم، ونسأل الله أن يجعلهم من أهل التقوى، وأن يجعلهم من العلماء العاملين والدعاة المخلصين والأبطال المجاهدين.
- ❖ إلى أخي إبراهيم صاحب القلب الطيب؛ أسأل الله له دوام الاستقامة وموفور الرزق الحلال وأقر الله عينه بصلاح زوجه وولده عمرو ـ حبيب قلبي ـ.
- ❖ إلى أختي وكريمتي أم محمد؛ أسأل الله أن يجعلها من أهل القرآن وأسأل الله لها راحة البال وقرار العين بزوجها الفاضل الخلوق فضيلة الشيخ: أنس سليمان أبو غيات ـ صاحب الفضل والمعروف والخلق الجم ـ وأولادها (محمد ـ مالك ـ عائشة ـ عمر).
- ❖ إلى روح عمي الفاضل أحمد محمد البقلي ـ رحمه الله ـ والذي غرس في نفسي من الصغر حب العلم والقراءة؛ فقد كان يصحبني معه في الاحتفال بحملة الماجستير والدكتوراة، وغرس في نفسي حب الصلاة؛ فقد كان يوقظني لصلاة الفجر منذ الصغر.
- ❖ إلى آبائي في العلم من العلماء الربانيين والدعاة المخلصين الذين أناروا لنا الطريق، ودلونا على الله ـ تعالى ـ فأنا وغيري الكثير غرسهم وسعيهم، أسأل الله أن يديم نفعهم.

PREVIEW

- ❖ إلى إخواني من طلبة العلم والدعاة المخلصين والمرابطين على الثغور في كل مكان، لا يعرفهم أحد ـ وحسبهم أن الله يعرفهم ـ والذين كانوا سببًا في الاستقامة على المنهج الصحيح، ومحبة العلم وتوقير أهله.
- ❖ إلى من أسدى إلينا معروفًا، أو مساعدة أو دعوة بظهر الغيب، جزاكم الله خير الجزاء وأسأل الله أن يديم نفعكم وألا يحرمكم الأجر.
- ❖ وأخيرًا إلى أصحاب القلوب التائهة في ضلالات الفتن والغارقة في بحور المادية الخاوية المتهالكة، عساهم يرجعون، عساهم يتوبون، ولطريق ربهم يسلكون.

PREVIEW

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُون)[1]

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا)[2]

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيمًا) [3]

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله ـ تعالى ـ وخير الهدي هدي محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

PREVIEW

[1] سورة آل عمران، آية 102
[2] سورة النساء، آية 1
[3] سورة الأحزاب، آية 70 - 71

التعريف بالموضوع وأهميته

كثيرًا ما تَطرُق الأسماع كلمة صوفيّ، وكثيرًا ما تصادف العين في أثناء القراءة في كتب التراث الإسلامي كلمة التصوّف، وكثيرًا ما نقرأ في كتب الدين المقارن كلمة التجربة الصوفية والتجربة الدينية.

وقد يتشكل في الوعي مفهومٌ عن التصوف وتجربته تتحكم في ضبطه عوامل متعددة، منها المجتمع الثقافي والفكري الذي نشأ الإنسان فيه وكوّن خلفياته الثقافية والمعرفية، وكذا طبيعة دراسته والمجالات التي تستهويه القراءة فيها، وتجربته الدينية الشخصية التي عاشها، فلكل إنسان على وجه الأرض تجربةً دينيةً عرفها واستطاع تمييز مراحلها أم لم يعرفها.

وحينما يقرأ الإنسان في كتب الدين المقارن وتقع عينه على كلمات (التصوف والرهبنة والتجربة الدينية والتجربة الصوفية والتجربة العرفانية والحياة الروحية والتبتل والزهد والانقطاع والفناء والخلاص والوحدة والاتحاد والحلول وغيرها...) تتولّد في ذهنه بعض الأسئلة عن طبيعة الصوفية كتجربة دينية سار في طريقها وتأثر بها الملايين من الخلق، من مختلف الأديان، وأيضًا التساؤلات عن مدى ارتباط التجربة الصوفية بالأديان بصفة عامة وماهي التجربة الصوفية وما هي التجربة الدينية في الإسلام.

إنّ دراسة التصوّف بوصفه ظاهرة أو تجربة دينية شغل الكثير من الدراسين؛ فقام بعضهم مشمّرًا عن ساعد الإنصاف وحاول التجرّد للوصول إلى الحقيقة المجرّدة عن الأهواء والأسباب غير المعلنة، ولكنْ للبعض الآخر مشْرَبُهُ وأيديولوجيته التي انطلق منها، والتي أثرت ـ ولا شك ـ في تحويل نظره عن بعض السلبيات وغضِّ الطّرْف عنها وإسهاب قلمه عند بعض النقاط المضيئة ومحاولة تضخيمها ـ وأقصر نظره إلى التصوف على زاوية معينة ثم أمعن النَّظر في هذه الزاوية، فهو مستغْرِقٌ فيها ولا يكاد ينفكّ عنها ولا يرى التصوّف إلا من تلك الزاوية فقط، وأغلق عينيه عن بقية الزوايا والمناحي التي يتسع لها ذلك الفكر الواسع مفهومًا والمتشعب طريقًا، ومن مظاهر اتساع هذا الفكر أنه يشمل مجالات متعددة من العلوم والآداب والأديان والأجناس؛ ولكن يبقى الدين ميدانه الرئيس، وفي هذا السياق يقول عيد الدرويش:

(إنَّ مفهوم التصوّف يشمل كثيرًا من المعاني والدلالات لمجالات عدة من العلوم، والآداب، والأجناس الثقافية؛ ولكن تبقى مسألة الأديان تحتل مساحة كبيرة للتعبير عن جوانب كثيرة في المفهوم والممارسة، وتعتبر أساسًا في الدِّراسة التي تتطرق إليها).[4]

[4] عيد الدرويش، فلسفة التصوف في الأديان، دمشق ـ سوريا: دار الفرقد، الطبعة الأولى، 2006، ص13.

PREVIEW

والتصوّف الإسلامي بصفة أكثر خصوصيةً له عظيم الأثر في التراث الإسلامي وله تأثير كبير على المسلمين منذ نشأة التصوّف وحتى الآن.

والناظر لواقع العالم الإسلامي الآن سيجد أن الكثيرين يدَّعون أنهم صوفيّون حقيقيون، وآخرون يكذِّبونهم، وسيجد محاولات بعض الدُّول لجعل التجربة الصوفيّة هي التجربة الدينية الرسمية التي تتبناها الدولة ومؤسساتها، وسيجد حرص بعض القوى الاستعمارية الكبرى المتصاعد في السنوات الأخيرة للتواصل والتفاهم مع المؤسسات الصوفيّة الرسميّة ومد يد العون لها، وعقد مؤتمرات عالمية برعاية هذه الدول لأغراض سياسية مشبوهة، وتحاول بعض الدول أيضًا جعل التصوف هو المذهب الرسمي للدولة ومحاولة جعل التصوف وتجربة الحلول والاتحاد ووحدة الوجود المذهب الشعبوي من خلال وسائل الإعلام المتنوعة كصناعة الأفلام والمسلسلات الرمضانية عن بعض غلاة الصوفية مثل (الحلاج ـ وابن عربي وغيرهما) وذلك للتخلص من التبعية السياسية لدول أخرى؛ فإذا كان للتصوّف أثرٌ كبيرٌ في الماضي والحاضر، فوجب معرفة أصوله التاريخية والفكرية في التاريخ بصفة عامة، وفي الدين الإسلامي بصفة خاصة، وإذا كانت هناك ثَمَّ دراسة منصفة، لجذور التصوف الإسلامي والحياة الروحية في الإسلام، سيصبح من السهل التعرف على التجربة الصوفية، ومحاولة فهمها كما يعيشها أصحابها، ويسهل عند ذلك مقارنتها بالتجربة الدينية في الإسلام.

وتصبح دراسة أصول هذا الفكر وجذوره وكذا دراسة تلك التجربة الصوفية في الإسلام من الأهمية بمكان، ولعلّه من المناسب أن أسوق في هذا السياق كلام محمد كمال جعفر عن أهمية التصوّف فيقول:

(إن التصوّف يعتبر ذا أهمية قصوى بالنسبة للدين، الذي يحفظ على الإنسان وضعه الأخلاقي البنّاء؛ ومن ثم فهو مهم بالنسبة لمستقبل الإنسانية وخاصة في مثل هذا الوقت الذي تبرز فيه أقسى التحديات لظاهرة الدين، سواء أكان ذلك عن طريق الفلسفات المغرقة في المادّية، أو عن طريق الإغراء الفجّ الذي يذيعه المتحمسون ـ بوعي أو بغير وعي ـ للمعرفة العلمية لقوى الطبيعة والسيطرة عليها وصرف الأذهان والقلوب عن الحقائق الروحيّة)[5].

وسأحاول أن أسلط الضوء على جذور التجربة الصوفية من خلال الحديث عن:

1- جذور ومنابع الحياة الروحية في التاريخ، وذلك من خلال الفصل الأول.

5 محمد كمال جعفر، التصوف طريقًا وتجربةً ومنهجًا، القاهرة: دار الكتب الجامعية، 1970م، ص 14

PREVIEW

2- الحياة الروحية والتجربة الدينية في مهدها الأول (صدر الإسلام) ويشمل ذلك الحديث عن الحياة الروحية والتجربة الدينية التي عاشها نبي الإسلام محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم ستتناول الدراسة تعريف التصوف وتاريخ نشأته وسيكون ذلك في الفصل الثاني.

3- ولاستكمال الفائدة ستتناول الدراسة في الفصل الثالث التجربة الصوفية العرفانية والتجربة الدينية بشيء من التفصيل لمحاولة فهمهما، ومن ثَمَّ تكون في الفصل الرابع المقارنة بين التجربة الصوفية والتجربة الدينية في الإسلام، وقد اختارت الدراسة النظرية الإسلامية للتجربة الدينية والتي صاغها مؤرخ الأديان د: خليفه وذلك لشموليتها، ولكونها لا قت قبول واستحسان علماء ودارسي الأديان.

سبب اختيار الموضوع

- اقتراح أستاذي الدكتور: محمد خليفه حسن فقد تشرفت بدراسة مادة (موضوع في مقارنة الأديان) [6] معه وقد ناقش معنا أستاذنا في إحدى المحاضرات الفروق بين الديانات التوحيدية والديانات الشرقية وقد تحدث عن التصوف والرهبنة في الأديان، وكانت لي مناقشة بعد انتهاء المحاضرة معه فأشار علي أن أكتب في أصالة التصوف الإسلامي في ضوء تاريخ الأديان[7]، وقال إن هذه القضية تحتاج لأن تدرس دراسة علمية، ولا أعلم أحدًا خصّها بمصنَّف، فتحمست لذلك ومكثت عدة أشهر في إعداد خطة للبحث، وفي أثناء مناقشة الخطة اقترح أستاذي الدكتور: إبراهيم زين أن يتحول البحث لمحاولة فهم التجربة الدينية والتجربة الصوفية في ضوء علم تاريخ الأديان حتى يكون البحث أكثر اتصالًا بتخصص مقارنة الأديان وقد وافقته لجنة المناقشة على هذا المقترح، فشرح الله صدري لذلك.
- الرغبة في إضافة دراسة علمية حول التجربة الدينية والتجربة الصوفية وخاصة أن الكتابات حول التجربة الدينية والتجربة الصوفية قليلة جدّا، ولم أجد ـ فيما أعلم ـ أحدًا قارن بين التجربة الدينية والتجربة الصوفية، أو أفرد لهما مصنّفًا وغاية ما هنالك أن يكون تناولهما هامشيًا في أحد الموضوعات.
- رجاء أن تكون هذه الدراسة نواة حقيقية لدراسة مستقبلية جادة من أحد الباحثين لاستكمال الحديث عن دراسات التجربة الدينية والتجربة الصوفية وخاصة أنه علمٌ تم استحداثه مؤخرًا في علم مقارنة وتاريخ الأديان.

[6] إحدى المواد المقررة في قسم مقارنة الأديان ـ بكلية الدراسات الإسلامية ـ جامعة حمد بن خليفه
[7] ولعل الله يعيننا فيما يستقبل من الزمان لأقوم بهذه المهمة الجليلة، نسأل الله الإخلاص والمعونة.

PREVIEW

أهداف البحث

- دراسة تاريخ الحياة الروحية وجذورها في التاريخ.
- التعرف على الحياة الروحية في الصدر الأول للإسلام.
- التعرف على التجربة الصوفية.
- التعرف على النظرية الإسلامية للتجربة الدينية والتي صاغها د: خليفة.
- إبراز نقاط الاتفاق والاختلاف وتسليط الضوء على نقاط التقاطع بين التجربة الصوفية العرفانية والتجربة الدينية وفق نظرية د: خليفة.

أهمية البحث

- تكمن أهمية دراسة التجربة الصوفية والتجربة الدينية في فهم تجارب دينية قديمة قدم الحضارات والأديان، وقد أثرت هذه التجارب في كثير من الناس قديمًا وحديثًا.
- ويزداد الموضوع أهمية لتكالب القوى الكبرى على مد يد العون للمؤسسات الصوفية، ومحاولة جعل التصوف هو الدين الرسمي في كثير من الدول العربية والإسلامية، ومحاولة تقديم التصوف للعالم على أنه روح الإسلام، فلا بد من فهم حقيقة هذا الفكر الصوفي وتجاربه العرفانية ومقارنته بالتجربة الدينية للوقوف على مدى قربه أو بعده عن الإسلام.
- ويزيد من أهمية الموضوع أن دراسات التجربة الدينية والتجربة الصوفية من الموضوعات الجديدة في مجال مقارنة الأديان والحضارات المختلفة.
- ويزيد من أهمية الموضوع أنه تناول وسلط الضوء على النظرية الإسلامية الوحيدة ـ فيما أعلم ـ للتجربة الدينية والذي صاغها علم كبير من أعلام تاريخ الأديان، فلذا اكتسب الموضوع أهمية كبيرة.
- وتأتي أهمية هذا الموضوع أيضًا كونه يعبر عن الحياة الروحية التي صارت ضرورة ملحة للبشرية الضالة المعذبة بالمادية الحديثة، فقد تفاقمت أزمة المادية الحديثة فوصل بعض الناس إلى الانتحار ووصل بعضهم لإنكار وجود إله، ووصلت المادية بالآخرين للتجرد عن الأخلاق الحميدة، ولا حل للخروج من هذه الأزمة العالمية إلا بالعودة إلى الحياة الروحية والاستجابة لنداء الروح.

PREVIEW

حدود البحث

سيركز البحث على أبحاث مؤرخ الأديان الأستاذ الدكتور محمد خليفه حسن ـ حفظه الله ـ لاستخراج كتاباته عن التجربة الدينية لمحاولة فهمها، ومن ثم مقارنتها بالتجربة الصوفية، وكان الاعتماد الأكبر على كتابه تاريخ الأديان، وكذا كتاب آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية.

إشكالية البحث

إن إشكالية هذا البحث، والتي شجعت على خوض غمار التجربة والكتابة في هذا الموضوع هي عدم وضوح تعريف وأنواع ومراحل التجربة الصوفية من قبل المتصوفة أنفسهم، ولا من قبل الباحثين، فهي تجربة جُوَّانية غامضة ـ كما يصفها أهلها ـ ليس لها أطر محددة ولا معالم واضحة إلا مجموعة من الأذواق والأحاسيس والمشاعر التي تحتمل الصدق وتحتمل تلاعب الشياطين.

والتجربة الدينية في الإسلام أيضًا لم نقف لها على تعريف شامل يصفها، وقد وضع الدكتور خليفه الأطر المناسبة للتجربة الدينية عند صياغته لها ـ وقد أجاد في ذلك ـ لكنه لم يصغ تعريفًا شاملًا لها ولا تزال تحتاج للمزيد من البسط والإيضاح.

تساؤلات البحث

من خلال الإشكالية السابقة يمكننا صياغة التساؤلات التالية:

- ما أهم منابع الحياة الروحية في التاريخ؟
- ما أهم ملامح الحياة الروحية في حياة نبي الإسلام محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ؟
- ما التعريف المناسب للتصوف؟
- ما المقصود بالتجربة الصوفية؟ وما أهم خصائصها؟
- ما المقصود بالتجربة الدينية؟ وما أهم خصائصها؟
- ما أبرز نقاط الاتفاق والاختلاف بين التجربة الصوفية والتجربة الدينية في الإسلام وفق نظرية د: خليفه؟

PREVIEW

منهجية البحث

اتساقًا مع إشكالية البحث وتساؤلاته سيعتمد هذا البحث على توظيف أكثر من منهج ويتمثل ذلك في استخدام وتوظيف المناهج التالية:

(المنهج الاستقرائي، التحليلي، النقدي، التاريخي، المقارن)

سيتخذ البحث المنهج الاستقرائي أساسًا للبحث من خلال تتبع آراء العلماء والباحثين على اختلاف مشاربهم في (تعريف التصوف ونسبة مصطلح التصوّف) وكذلك في وصف التجربة الصوفية ووصف الحياة الروحية.

في حين سيلجأ البحث إلى (المنهج التحليلي) من أجل تحليل المفهوم الدلالي لمصطلح (التصوّف) وكذا تحليل الدلالات الناتجة عن نسبة التصوف.

وسيستخدم البحث المنهج النقديّ لنقد التجربة الصوفية في ضوء المعطيات السابقة وكذا في ضوء نظرية د: خليفة في وصف التجربة الدينية.

وسيوظف البحث المنهج التاريخي من خلال الحديث عن النشأة التاريخية للتصوف ووصف التطور التاريخي لهذا الفكر، وكذا المراحل التاريخية للحياة الروحية منذ القدم، مع التركيز على تطورها في الدين الإسلامي.

أمّا المنهج المقارن فسيستخدم في المقارنة بين التجربة الدينية للمسلم وفق نظرية د: خليفه والتجربة الصوفية العرفانية، ومحاولة إبراز نقاط الاتفاق والاختلاف بين كلٍ منهما.

الدراسات السابقة

أثناء البحث عن الدراسات السابقة لم أجد ـ فيما أعلم ـ دراسة خاصة اقتصرت فقط على ذكر التجربة الصوفية أو التجربة الدينية أو العلاقة بينهما، ونتفهم قلة الحديث عن التجربة الدينية إذ هو اتجاه جديد في علم مقارنة الأديان أما التجربة الصوفية فعلى الرغم من كثرة ما كتب عن الصوفيّة قديمًا وحديثًا، إلا أن الحديث عن التجربة الصوفية لا يزال قليلًا، لكنني وجدت الحديث مفرقًا ومختصرًا ضمن بعض الدراسات والأبحاث، أذكر منها:

1- كتاب (تاريخ الأديان دراسة وصفية مقارنة) لـ محمد خليفه حسن وطبعته دار الثقافة العربية – القاهرة، عام 2002م وعدد صحائفه: 342، والكتاب من المراجع المهمة في علم تاريخ ومقارنة الأديان؛ فلا غني للباحث عنه، وقد اعتمدت كليًا على الكتاب في الحديث عن التجربة الدينية، وقد أفرد المؤلف للحديث عن الإسلام الفصل الأخير من الكتاب والذي تحدث فيه بالتفصيل عن التجربة الدينية، ويلاحظ أن المؤلف لم يتناول التجربة الصوفية في

PREVIEW

كتابه إلا في مواضع متفرقة فقد تحدث عن التجربة الصوفية باختصار عندما قارن بين الديانات التوحيدية والديانات الشرقية.

2- كتاب (التصوّف طريقةً وتجربةً ومذهبًا) لـ محمد كمال جعفر

طبعته دار الكتب الجامعية بمصر 1970 وعدد صحائفه 333 ويتكوّن من أربعة عشر فصلًا، ويتناول الفصل الأول أصل كلمة التصوف وتعريفاتها داخل السياق الإسلامي وخارجه، وفي الفصل الرابع ذكر العلاقة بين الدين والتصوف من خلال المقارنة ببين التجربة الدينية والتجربة الصوفية، وتحدث في الفصل السابع عن الوجدان الصوفي والتجربة الصوفية وخصص الفصل الثامن لذكر أنواع التجربة الصوفية.

ويُلاحظ أن الحديث عن التجربة الصوفية متشعب فكلا الفصلين السابع والثامن يحتاجان لمزيد من التقسيم وبروز العناوين الجانبية، فالمؤلف لسعة اطلاعه أسهب في ذكر بعض النقاط مما جعل الحديث عن التجربة الصوفية متشعب.

ويلاحظ أيضًا أن المؤلف لم يتعرض للحديث عن التجربة الدينية إلا في بداية الكتاب (ص 37 - 41) ولم يتعرض لشرحها ولا لبيان خصائصها وإنما ذكرها في معرض الحديث عن العلاقة بين التجربة الصوفية والدين.

3- كتاب (المعرفة الصوفية دراسة فلسفية في مشكلات المعرفة) لـــ ناجي حسين جودة

طبعته دار الهادي ببيروت لبنان 2006م وعدد صحائفه 295 ويتكون من ثلاثة فصول، ويتناول الحديث عن التجربة الدينية في الفصل الثاني، ويلاحظ أن المؤلف قد استغرق في الحديث عن خصائص التجربة الصوفية ولم يتطرق للحديث عن تعريف للتجربة الصوفية، وكانت المساحة الأوسع في الكتاب مخصصة لنقد المعرفة الصوفية في الفصل الثالث.

4- كتاب (العقلانية والمعنوية مقاربات في فلسفة الدين) لـــ مصطفى ملكيان طبعته الدار العربية للعلوم ناشرون ببيروت - ومركز دراسات فلسفة الدين ببغداد ويقع الكتاب في 512 صحيفة وطبعته الأولى في 2010م ويتكون من ثلاثين فصلًا، ويلاحظ أنه تحدث عن التجربة الدينية في الفصل الثامن والعشرين والفصل عبارة عن أجوبة لبعض الأسئلة حول التجربة الدينية في ندوة علمية شاركه في تلك الإجابات د: محمد لغنهاوزن.

ويلاحظ أنه ركّز حديثه عن التجربة الدينية بذكر أنواع التجربة الدينية وعلاقتها بالتجربة العرفانية وأرى أنه تقسيم شامل يمتاز بالوضوح؛ لذا فقد استعرته في البحث، لكن كون هذا الفصل كان إجابات عن بعض التساؤلات فإنه لم يكن معدًا لكي يكون كتابًا أصلًا؛ لذا فقد تسبب ذلك في كثير من الغموض وقد ركز حديثه على وصف

PREVIEW

التجربة الدينية وأنواعها وموانعها ولكن كان حديثًا مختصرًا جدًا، غير متناسب مع حجم الكتاب الكبير، فقد كتب حوالي 9 صفحات فقط للتجربة الدينية من 512؛ وعلى الرغم من ذلك ففي هذه الصفحات خير كثير.

خطة البحث

- **الفصل الأول: جذور الحياة الروحيّة في التاريخ:**

❖ المبحث الأول: منابع الحياة الروحيّة.

❖ المبحث الثاني: جذور الحياة الروحيّة في التاريخ.

❖ المبحث الثالث: جذور الحياة الروحيّة في جزيرة العرب قبل الإسلام.

- **الفصل الثاني: التجربة الدينية في أول مهدها الإسلامي:**

❖ المبحث الأول: الحياة الروحية في حياة محمد صلى الله عليه وسلم قبل البعثة:

❖ المبحث الثاني: الحياة الروحية في حياة نبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم بعد البعثة.

❖ المبحث الثالث: مفهوم التصوف ودلالاته.

- **الفصل الثالث: التجربة الدينية والتجربة الصوفية:**

❖ المبحث الأول: التجربة الصوفية:

❖ المبحث الثاني: التجربة الدينية:

- **الفصل الرابع: مقاربات بين التجربة الدينية عند د. محمد خليفه حسن والتجربة الصوفية:**

❖ المبحث الأول: التأسيس لنظرية د. محمد خليفه حسن عن التجربة الدينية.

❖ المبحث الثاني: مراحل التجربة الدينية.

❖ المبحث الثالث: خصائص التجربة الدينية.

❖ المبحث الرابع: الفرق بين التجربة الدينية والتجربة الصوفية.

- الخاتمة.
- المراجع.

PREVIEW

الفصل الأول

جذور الحياة الروحيّة في التاريخ.

المبحث الأول: منابع الحياة الروحيّة.

المبحث الثاني: جذور الحياة الروحيّة في التاريخ.

المبحث الثالث: جذور الحياة الروحيّة في جزيرة العرب قبل الإسلام.

PREVIEW

تقديم:

تتنامى في الغرب اتجاهاتٌ، وتتعالى أصواتٌ تنادي بضرورة العودة إلى الحياة الروحية والتقليل من المادية البغيضة التي أثرت في سلوك الإنسان وأخلاقه تأثيرًا سلبيًا، وصار الإنسان كأنه آلة مادية خاوية عن الروح والحس، مما أثر على شكل الحياة وأدى بالكثير من الناس إلى اللجوء إلى الانتحار والملل من تلك الحياة وما ذلك إلا لأن هؤلاء لم يستجيبوا لنداء الروح ولم يحاولوا استنقاذها، عطشت أرواحهم للدين الذي هو مقتضى العقل ونداء الفطرة في قلوب الخلق.

فبدلًا من الاستجابة السريعة لاستنقاذ هذه الأرواح المعذبة بالبعد عن الدين قويت فيهم الدعوة إلى الإلحاد ـ ترك الدين بالكلية ـ وكأنّ الإنسان الغربي والحضارة المادية بهذا التوجّه يبحثان عن الشقاء، ولكن الروح هي الفائز والمنتصر في هذه المعركة فإما تُلبّي الحضارة الإنسانية نداء الروح بضرورة السعي في استنقاذها من جهل المادية البحتة أو الشقاء الأبديّ.

وللحديث عن هذه النزعة الروحية وخصائص تلك الحياة الروحيّة ـ التي صارت الدعوة إليها الآن ملحَّة جدًا ـ كضرورة نفسية ومطلب ديني ونزعة فلسفية في بني البشر، فإنه لمن المناسب أن نتعرف على منابع تلك الحياة الروحية وجذورها في التاريخ، ومحاولة تسليط الضوء على هذه الحياة الروحية في حياة العرب في الجاهلية قبل ظهور الإسلام، وبعد ظهوره واستقراره في جزيرة العرب.

لكي نلحظ نمو وتطور تلك الحياة الروحية التي أنتجت لنا فيما بعد حركة الزهد ثم التصوف والذي انقسم بعد ذلك إلى طرق الصوفية المعاصرة والمنتشرة في شتى بقاع العالم.

المبحث الأول: منابع الحياة الروحيّة.

للحياة الروحية منابع متعددة ذكرها مقداد يالجن[8] وهي: (منبع فلسفي وآخر سماوي (ديني) وثالث يتمثل في الطبيعة الإنسانية) وأنا أفضل أن يستبدل المنبع السماوي بالمنبع الديني وسيأتي بيانه لاحقًا.

أولًا: المنبع الفلسفي:

اختلفت وجهات نظر الباحثين من الفلاسفة حول الحقائق التي نشأ منها الكون وما فيه من مختلف الكائنات الحية وغير الحية، فذهب بعضهم إلى أنها نشأت من حقيقة واحدة وقال آخرون بأنها نشأت من حقيقة متعددة

[8] مقداد يالجن، فلسفة الحياة الروحية، عالم الكتب، الطبعة الثانية، 1989م ص 6

PREVIEW

(مادية ـ روحية) وأصحاب الرأي الأخير فيهم من يرى أنها مادية فقط أو روحية فقط ومنهم من يرى أنها مادية وروحية معًا وسنلقي الضوء هنا على من قال إن هناك حقيقة روحية ومادية معًا.

وقد انقسم الفلاسفة خمسة اتجاهاتٍ وفِرَق وذلك وفق ما ذكره مقداد يالجن وسنستعير هذا التقسيم.[9]

الأول: الفلسفة المادية

اعتبرت الفلسفة المادية أن حقيقة الإنسان مادية فقط وذلك اعتمادًا على وجهة نظرهم في أصل نشأة الكون؛ لذلك اهتمت هذه المدرسة بالجوانب الحسية للإنسان ولم تعترف باحتياجاته الروحية وأهملت تلك الاحتياجات الروحية بدعوى أنه غير محتاج إليها، ونلاحظ الإهمال الشديد للجانب الروحي في هذا الاتجاه والاعتماد على المادية فقط.

الثاني: الفلسفة الروحية:

تنقسم الفلسفة الروحية قسمين:

1ـ الفلسفة الروحية الذاتية ومن أكبر أصحاب هذا الاتجاه الفيلسوف جورج باركلي الذي يرى أن حقائق الأشياء روحية فقط ولا توجد حقيقة مادية محسوسة.

وهذه الأشياء المحسوسة التي نراها ليست حقيقية إنما هي مظاهر خادعة (فجمال الخليقة الذي تراه عيوننا) ليس في واقع الأمر سوى (وهج وهمي زائف)[10] وأن الحقائق هي الحقائق الفكرية أساسًا، وهذا الاتجاه يعتبر نقيض الاتجاه السابق؛ فهو يعتمد على الروح فقط ولا يعترف بما سواها من مظاهر عرضية خادعة وأشياء وهمية وفق تعبير (جوناثان ري، وح، أو، أرمسون)

2ـ الفلسفة الروحية الشاملة: ومن أكبر الدعاة لها الفيلسوف الألماني (ليبنتز) والذي يدلل على أن عالم الطبيعة مكون من الذرات الروحية ويصفها بأنها ذرات روحية شفافة مائعة [11]

ويقول الدكتور: مقداد يالجن (إن الفلسفة الروحية ترى وجوب الاهتمام بالحياة الروحية للإنسان وأن يكون النظام العام خاضعًا للنظام الروحي)[12] ويرى أنصار هذا الاتجاه ضرورة المبالغة في الاهتمام بالروح وتحويل النظم العامة وإخضاعها إلى نظم روحية؛ فعالم الطبيعة والأعراض ليس مهمًا بالنسبة لهم.

---

[9] مقداد يالجن، فلسفة الحياة الروحية، عالم الكتب، الطبعة الثانية، 1989م ص 12

[10] جوناثان ري، وح، أو، أرمسون، الموسوعة الفلسفية المختصرة، ترجمة فؤاد كامل وجلال العشري وعبد الرشيد الصادق محمودي، مراجعة إشراف زكي نجيب محمود، المركز القومي للترجمة، ط أولى 2013م، ص 80 بتصرف يسير

[11] نفس المرجع، ص 279 بتصرف يسير

[12] مقداد يالجن، المرجع السابق، ص 14

PREVIEW

الثالث: الفلسفة الثنائية المثالية:

وفيها تأثُّرٌ بالاتجاه الروحي أكثر من تأثرها بالاتجاه المادي ومن ثم نشأت الفلسفة الثنائية المثالية،[13] ويرى أصحاب هذا الاتجاه الذين يتزعمهم أفلاطون أن طبيعة الإنسان حقيقة روحية ومادية لكن الحقيقة الروحية هي الأصل والمادة ظاهرة لها وبناءً على ذلك يرون أنه يجب الاهتمام بالحياة الروحية أكثر من الاهتمام بالحياة المادية، ويجب على المربي عندهم أن يأخذ بيد المتربين ويوجههم ويرعاهم ولا يكتفي فقط بمجرد التوجيه ثم يتركهم لحريتهم.

الرابع: الفلسفة الثنائية الواقعية:

تأثر أصحابها بالاتجاه المادي أكثر مما تأثر بالاتجاه الروحي ومن ثم نشأت الفلسفة الثنائية الواقعية الطبيعية، والتي ترى أن الحقيقة المادية هي الأساس والروح ظاهرة لها ويتزعم أرسطو هذا الاتجاه حيث قال:

(المبدأ الحق في كل الأشياء إنما هو الواقع، وإذا كان الواقع نفسه معروفًا دائمًا بالوضوح الكافي كاد لا يكون ثمة حاجة للصعود إلى علته)[14]

الخامس: الفلسفة الثنائية التكاملية:

نظر أصحابها بالتساوي إلى موضوعية ما هو مادي وروحي على حد سواء ومن ثم تكون المذهب الثنائي التكاملي، ويقول صاحب كتاب فلسفة الحياة الروحيّة [15] أن هذا المذهب يؤمن بالمادية والروحية على حد سواء ويهتم بالحياة الروحية كما يهتم بالحياة المادية، ومن ثم يهتم أنصار هذا المذهب بضرورة الاهتمام بالتساوي بين الجانب المادي والروحي في مضمار التربية دون اعتراف بفواصل بينهما لأن هدفه تكوين شخصية متكاملة من الناحية الأخلاقية الروحية والعقلية الجسمية.

وينقل مقداد يالجن عن (سير رتشارد نفجستون)[16،17] قوله (إننا نعيش جميعًا في عالمين في العالم العادي الذي يتغير في كل عصر بتقدم الحضارة المادية وفي عالم روحي لا تستطيع العلوم من دونه أن تؤمن بالحق أو يؤمن الدين بالله أو يكون للصلاح أي معنى وهذا العالم الروحي هو عالم القيم، ولو أننا ضحينا به على

---

[13] مقداد يالجن، المرجع السابق، ص 16 بتصرف كبير

[14] أرسطو، علم الأخلاق، ترجمة أحمد لطفي السيد، دار الكتب المصرية، 1924م، ص 177

[15] نفس المرجع، ص 17

[16] وكيل جامعة أكسفورد

[17] من كتاب التربية لعالم حائر، ص 46

PREVIEW

Reproduced with permission of copyright owner. Further reproduction prohibited without permission.